سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي (8)

ديوان

أبي العباس أحمد بن القاضي الفاسي

(960 - 1025هـ/52 - 1553 - 1616م)

بسم الله الرحمان الرحيم

قال رحمه الله

إمام دين الهدى المنصور شيدني بحر المكارم من أبناء عدنان

فخر السلاطين من أبناء فاطمة إنسان عين غدا من كل إنسان

حزت المفاخر بالمنصور أجمعها ومن علاه سنام المجد أوطاني

من جاء يشكو الظما يوما وقبلني أغناه ما قد همى من صوب أجفاني

لاتنكرن وجود الدمع من فرحي فالعين تدمع من إفراط سلوان

واشرب هنيئا من السلسال لاحرج معين دمع جرى من فيض خلجان

فخر السلاطين من أبناء فاطمة أشاع صيتي في أطراف عمان

ومذ جرت مقلتي حاكت سحائبها كف الخليفة من أبناء زيدان

لازال للدين والدنيا يسوسهما ماهيجت عاشقا ورق بأفنان

إذ شادني زمن التاريخ وافقه لدين والأجر بحر الجود أجراني

وقال رحمه الله

بالله بلغ سلام المذنب العاني إلى النبي الذي من آل عدنان

إلى النبي الذي ترجى شفاعته للناس طرا، وأحرى المذنب الجاني

إلى النبي الذي ترجى كرامته وجاء تعظيمها في آي وقرآن

إلى النبي الذي ترجى كرامته للعالمين من الإنسان والجان

صلى عليه إله العرش ما طلعت شمس، وما غردت ورق بأفنان

وقال رحمه الله

تكامل الحسن في ظبي فتنت به   فخال حاجبه نقط على النون

ما حل خال حبيبي تحت طرته   إلا ليعجم نونا غير مكنون

وقال رحمه الله

رزقي على الله كل حين ليس على الكد واليمين

أن أطلب الرزق باكتساب خيبت في السعي باليقين

وقال رحمه الله

يا مالكي رفقا على جسمي الذي أضنيته بجمالك الفتان

واستوص بي خيرا فإني مدنف أبدا أجود بدمعي الهتان

فبخالك المسكي إذ عاينته في جبهة لمعاقد التيجان

لاتحرمن من شفتي من لثم له ولوجنة حمراء كالعقيان

وقال رحمه الله

يا أم عزحان بيني عنكم فتقاطرت لفراقكم أجفاني

أجرت دموعا بل دما بل مهجة حللتها فتراكمت أحزاني

أجري دموعك للفراق وأسعدي فمصيبتي في الأهل والأوطان

قال حفظه الله لما أطلعني الأديب محمد بن يعقوب على معمى له في إسم عامر:

فديتك من وجدي وقلبي طائر أبيت وجفن العين مني ساهر

وليت الذي أهواه رق لذي الهوى وأضحى لعيني واصلا وهو آمر

قلت في الاسم نفسه:

رمى قلبي بسهم إثر عين أصابتني مليح الوجنتين

فلا تعذل على جزعي فإني مصاب اللب ذو هجر وبين

وكان أبو عبد الله بن ابي بكر الدلائي ينصت للسماع في آخر عمره ويتأثر به فانتهى ذلك لأبي العباس ابن القاضي فكتب له:

عهدتك ما تصبو وفيك شبيبة فمالك بعد الشيب أصبحت صابيا

فأجابه:

نعم لاح برق الحسن فاختطف الحشا فلبيته من بعد ما كنت آبيا

وقال رحمه الله

رفعت أموري إلى خالقي جميعا وفوضت حالي إليه

لذلك كفاني ما أتقي من الضيم اتكالي عليه

وقال رحمه الله

ساق من الترك جاف من تجافيه وكيف لا، وهو قاسي القلب ذو تيه

كساني السقم من ساق كلؤلؤة ياحسرتي ذبت شوقا من تجنيه

وقال مجيبا الكاتب أبا عبد الله الوجدي أسماه الله عن لغز الذي أوله:

اسم التي تيمني حبها تصحيفه تربية للهوى

فبعضها وصف امرئ صالح لوالديه طائع ما غوى

وبعضها الآخر من فعلها لكن بتصحيف يزيد الجوى

ونص الجواب:

باريت قسا يا فصيحا نوى مكارم الأخلاق لما انطوى

شنفت سمعي بالحلال الذي ينسي لذيذ الشعر من قد روى

ألغزت فيمن قد غدا كعبة لحسن محبوبا لأهل الهوى

فبعضه بر لأهل الهدى وبعضه اسم حاصل من نوى

لازلت ما بين الورى سيدا ما غردت مفجوعة بالنوى

وقال رحمه الله

ولما رأتني طويت الحشا وآليت لا أسأل الناس شيا

فقالت: ثكلتك من محلق فقلت: وأطرقت رأسي مليا

فإن إراقة ماء الحياة لدون إراقة ماء المحيا

لهفي على الفقه قد تقضى لم يبق للناس منه رسما

لهفي على مالك الزمان فالغرب من بعد صار أعمى

لقد أحيا حين كان يحي ومات منذ مات والدهمى

فليبكيه صارخا خليل مذغم بالإلحاد غما

لحادث مفظع جليل لحادث للأنام عما

يا عين جودي ولا تضني بدمعك المنهل حتما

بالله يا مقلتي عليه نوحي واجري الدموع كالما

قد كان في النحو سيبويه ومالكا في الفروع لما

وكان في الدرس حين يلقي لطالبي الفقه منه علما

شبيه بدر وهم نجوم وواسط العقد راق نظما

من للنوازل والفتاوي يأتي بمشهورها منمى

لقد غدا الفقه في ظنون كاذبة للأنام ينمى

هذا بزعمٍ وذا بحدسٍ يفتي ويقضي لهم أُلما

يا نفس صبرا على ملمٍ وجه العلى منه صار جهما

قد أخبر الصادق الأمين لما بدا للعلوم وصما

فإنها كلها ستنسى والجهل في الناس سوف يطمى

فنسأل الله منه عفوا ونسأل اللطف منه عزما

وبين لما سأله عنه أمير وقته مولاي أحمد الذهبي مع الاشارة الى بيان الكم بقوله:

يا سائلا طبعه للعلم منحرف   وقلبه بصلاح الناس مشغوف

الكم كلية جزئية ذكروا   والكيف للحساب والايجاب معروف

ولبعضهم:

أجب أيها الفرضي فيمن   تخلف بعده خالا وعما

فضم الخال كل المال إرثا   ولم يترك لذاك العم سهما

جوابه:

ألا فاسمع جوابك من لبيب   حوى علما يصول به وفهما

وذلك أن للموروث حقا أخا لأب سأذكره مسمى

تزوج جدة الموروث لما رأى أن الزواج عليه حتما

فأولدها غلاما صار خالا لذا الموروث والموروث عما

وقال رحمه الله

سباني بابلي النغمه بديع الحسن ذو لمه

فإن تخبره تلفه على القدر والهمه

وقال رحمه الله

سعدت بغرة وجهك الأيام يا سيدا دانت له الأعلام

يا بحر علم إن طمت أمواجه قذفت بدر شاده الإسلام

خطبته من حور العلاء عقيلة عرفته مذ حليت به الأيام

فتبارك الله المعز لدينه بعصابة شرفت بها الأقلام

من ذا يساجل في العلاء علاهم هيهات ما البدر المنير يرام

أرسلت للغرب القصي بدرة قد أبهرت وغلت لها الأسوام

جمع العلوم على حداثة سنه قد بارك الله به العلام

أكرم به من عالم علامة جمع العلى وزكت به الأحلام

بيت به طاق العلوم وأسرجت لهداية بمناره الأفهام

فجزيت خيرا ياسعيد عن الورى بابن الأخ العلامة الصمصام

أدبته، هذبته، علمته ما إن يقاس بعلمه بهرام

ضاءت بكم يا مقري سما العلى وعلت بكم بين الورى أقوام

دامت كراماتكم ودام المجد في أكنافكم ما جلت الأقلام

وقال رحمه الله

يا آل فخر الدلا لله دركم حزتم مفاخر لم تدرك ولم ترم

العلم والحلم والتقوى ومعرفة والعز والنصر والحيا مع الكرم

لا تعجبوا لحسود بات يحسدكم إذ خصكم ربنا بأعظم النعم

وقال رحمه الله

يا مالكا حاز المفاخر والثنا   يا درة في غرة الأيام

يا نجل منصور تملكت العلى   فافخر بما أوتيت من أنعام

ما أبصرت عيناي جودا كالذي   أضحى لكم من جملة الخدام

كم بين من أضحى لجودك مالكا   أو بين من في الجود في تهيام

عند الأنام جوادهم من جوده   في طبعه يحصى من الإكرام

قد حزتم أسنى المحامد والعلى   وخصصتم بالمدح والإعظام

فالبس من الحمد المعطر حلة   تبقى محاسنها مع الأيام

إن الثياب جديدها يبلى ولا   يبلى الثنا من ألسن الأقلام

ومما خاطبت به صدر الأفاضل الأديب ابن يعقوب:

وفتى تقدم من تقادم في العلا أكرم به من عمدة وحميم

حاز المفاخر كلها متقدما والصدر محمول على التقديم

فأجابني بقوله:

أوريت زند قريحة وقادة ولهيب عقلك بالذكا مشبوب

أبدى الشهاب لنا العجاب بنظمه وكذا الشهاب على الدوام مصيب

وقال أيضا مجيبا عن لغز الفقيه الأجل أبي زيد عبد الرحمن بن ابراهيم المشنزائي الذي أوله:

أحاجي فاضلا حبرا نجيبا ليعرب عن ضمائر ما بفهم

فما اثنان استطالا واستداما وقد قسما الزمان بدون ضيم

وخل زاد بالبعد امتلاء ويسقم أن يواصل أي سقم

وضيف جاءنا من غير أرض فناولناه شاة دون عظم

فقال شهاب الدين بن القاضي:

مصال الشهد أم سحر حلال أم الدر المبدد دون نظم

أم الياقوت والمرجان كلا لقين جاءنا من بحر علم

فالإثنان اللذان قد استطالا هما قد أبليا لحمي وعظمي

فبعضهما مصحفه بهار ذكي شره في كل فهم

وراهب قلبه إن صحفوه تبدى للذكي بكل وهم

وبعض فالوصال به لذيذ وإلا فهو ضاهى ألف يوم

وخل زارع بذر التصافي هو الخل الذي بالبذل يهمي

وأما من أتى من غير أرض فود بعضه من دون لوم

فلوم بعضه في القلب شاة مصحفه يرى في صدر أم

فهنيتم به من ضيف علم وبوركتم به للفضل ينمي

فلازلتم ولازالت حلاكم بسهم الزهر للإتقان تومي

فما شيء له سلطان قهر على الأملاك من عرب وعجم

ووصف الفضل بين الناس طرا وألفيناه في قيس ولخم

فإن عددت أحرفه ثلاث كعلمك آخر في حال عزم

وأولاها كمثلك في كرام إذا ما لحتم من فوق نجم

وثلثا الشيء عش دهرا طويلا تباهى بين أعيان بفهم

ولغزه حفظه الله في عشق حسب ما يظهر من كلامه لمن تأمله، والله اعلم.

عزيزة إن نأت لسعت فؤادي   وإن وصلت فدرياق السليم

تبشر بالصلاح بكل وقت   وإن زارتك في الليل البهيم

تكلمني بلحظ أو بلفظ   وتوجب في الهوى مطل الغريم

كأن المسك إن فاحت شذاها   نسيم من نسيم من نسيم

وقال رحمه الله

قد ذبت وجدا من هوى أهيف   من لينه يجرح بالوهم

لما غدا من طيّ خصره   ولحظه ينمي إلى سهم

قال الشهاب حفظه الله:

قلدت للمجد سيفا صلت به في الأنام

ولا غريب لأني محصن بالحسام

والبيتان جواب على بيتين شعريين خاطبه بهما نائبه بمحروسة سلا الحسين بن أبي القاسم الحلولي

ووهما:

بشعلة من شهاب أحرق كل حسود

فهو الملاذ المنيع أحصن لي من زرود

وقال ملغزا في زينب:

اسم التي نفت عن الطرف الوسن   إذا تصحفه فقلبه حسن

ونصفه زي التقى معظم   عند ذوي الفضل ومن يدعى أسن

وإن أزلت صدره فما بقي   ينب عن المحذوف يا نعم السكن

وآخر إن زال زين للفتى   علم به يدعى من أرباب الفطن

رتبت تصحيفا له في مقولي   وهو رشا أسكن في القلب الحزن

تالله قد أبديت ما أخفيته   من لغز أحلى من الشهد الحسن

بلد قد شاده لمتونه باستقام، فيا حسنه وطن

مراكش فاعلم وأبن تا ريخه جاد البلد الحسن

وقال رحمه الله

قال المقري: واجتمعنا ذات يوم مع جملة أعلام بالحضرة الفاسية، فأخرج لنا بعض أصحابنا شرح لامية العجم للإمام صلاح الدين الصفدي رحمه الله، فرأينا فيه بيتا فردا منسوبا للشريف العقيلي وهو:

خلص بجاه الحب قلب متيم غمز الصدود عليه أعوان الضنا

فسأل بعضهم تضمينه، فضمنه الحاضرون وغيرهم حسبما ذكرت تضمين كل واحد في ترجمته، فقال ابن القاضي رحمه الله:

أمعذبي رفقا على جسمي الذي حكمت فيه ظبا القواضب والقنا

يا قاسيا ما آن للرحمى مدى كم هكذا جسمي وقلبي في عنا

(خلص بجاه الحب قلب متيم غمز الصدود عليه أعوان الضنا)

وقال رحمه الله

وأهيف قد بابلي لواحظ جنوني به في العاشقين فنون

تبدى بصبح الجيد فاشتقت قربه (ألذ الكرى عند الصباح يكون)

من العقيق عقيق العين هتان سل عنه سلعا فما يغنيك نعمان

كأنه عندم أو عن دم قد جرى ماء المحاجر إذ تجريه أجفان

أظل والحزن كأس كاسر عسر والقلب منيته الوعسا وعسفان

والجسم في تلف والقلب في كلف والنفس في سرف والعقل حيران

لم يولم الطرف إن سحت سحائبه ولا الفؤاد إذا حلته أحزان

من وجد نجد وحزوى والقديدوس تهامة وإلى اللعي جيران

من لي بظبي عزيز الجار ذي كرم غزير حسن له بالمسك خيلان

مهفهف أدعج ألمى نضير فلا نظير يشبهه في الحسن كيوان

ما زلت يا أملي جسرا إلى ألمي ما همت أو رنحت في البان قيان

فقتل لحظك لي باسم ابن ذي يزن وكيف لا وهو للنسرين صنوان

إن طال ودي فآمالي به قصرت وإن نأى مطلب فالصبر أوطان

شربت راح الهوى من كأس مبسمه فها أنا من رحيق الثغر سكران

ريق وخال وخد والعذار به خمر ومسك وكافور وريحان

فأعذب وعذب وجر وأرض وصد وصل واهجر وته أنت للبدرين خرثان

من أين شئت فلا قصدي سواك ولا أسلو هواك ولا للقلب سلوان

وعاذل رام بالإحسان يخدعني فطال ما خدع الإنسان إحسان

عدمت نصحك لي إن بالصلاح أتى فكيف لي وهو في التحقيق خسران

فرطت يا نفس أطلعت العدو على سري أمالك للإسرار كتمان؟

أعانت النفس أعدائي على تلفي فهلهم لصروف الدهر أعوان

يا عجبا قدمي عمدا أراق دمي وليس لي لعهود الإلف خفران

محضتني النصح إشفاقا على بدني يا ليت لو كان دون النصح فقدان

فأنت عندي كالأسرار في خلدي أخص كل الورى في النصح يقظان

من أشرف الناس لم تغل نفوسهم وهم أسود لحمل الضيم هصران

حسبي بذكراك بين الناس منقصة فذكر مثلك في الأشراف نقصان

كأن نصحك حقا ما انفعلت له وهبه حقا فما للقلب إذعان

قالوا: صبرت على الأحباب قلت لهم صبرت للوجد أيام وحقبان

قالوا: اسلهم, قلت: قلبي لايفارقهم قالوا: اصطبر, قلت: صبري فيه روغان

وأنني سوف أسلوهم إذا ولجت سم الخياط ملاقيح وبزلان

وكيف أسلو عن السكان في خلدي وهم بصبح ووادي النقع سكان

من لي بهم وبباب الرقمتين وهل يبدو الحجون وشعب الغور والبان

وزمزم والصفا والحجر ملتزم والبيت والركن والمسعى وعسفان

وهل أرى طيبة يوما ومسجدها وهل أمر بربع فيه إلفان

وهل أنوح على باب السلام إذا ما جئته بوقار الحمل عصيان

أعفر الوجه إجلالا وتكرمة في تربة لجنود الوحي ميدان

وهل أرى الكوكب الدري الذي خضعت له الكواكب والأملاك أسدان

وهل أحي إلى المختار من مضر وصاحبيه بقول فيه إعلان

أقول ياسيد الكونين يا أملي   ومن به للحصى والجذع إيمان

اشفع لعان أسير طالما جمحت   به خيول الصبا طورا وأزمان

أنت الرسول الأمين السيف بدر هدى   هاد له من جنود الله أعوان

هو البشير الذي من نوره ظهرت   عوالم الله ألوان وأكوان

هو النذير السراج النور من شهدت   له بصدق وبالبرهان رهبان

محمد المجتبى من خلق خالقه   محمد المصطفى للناس أمان

محمد المرتضى في الحشر إن حشرت   صحف، وعلق للتحقيق ميزان

محمد خير من فاه اللسان به   محمد خير من أنماه عدنان

صلى عليه إله العرش ما طلعت   شمس وماماس في البستان أفنان

لا تترك الصب غاو في غوايته   وفي عماه إذا ما ضل عميان

لأن لي شغفا بالنور من مضر   ولي بآل رسول الله إعلان

لاسيما سبطه المنصور من شهدت   له المنابر والتأييد إيوان

هو الإمام الهمام العضب بحر ندى ذو لبدة من أسود الحرب يقظان

هو الحسام عن العلياء صيقله أيامه بنواصي الدهر تيجان

إمام حلم له الأدوات قد خلقت لعدله دان دارين وبغدان

كمسك دارين قد طابت شجيته أو عنبر الشحر إن عمته أعكان

سهل إذا يمم العافون ساحته صعب هزبر على الكفار غضبان

ليث عدا أنه من نسل فاطمة غيث عدا أنه بالتبر هتان

سيل به راق وجه الأرض وابتسمت وجيدها فيه ياقوت ومرجان

فكم بيمنه الخيرات قد ضحكت وكم بكى الرمح والهيجاء نيران

هو الجناح لنسر النصر إن وقفت عن ساقها الحرب والمقدام طعان

إن رام عسكره أرضا وحل بها شد النواحي وللإسلام بنيان

أبطاله وسجاياه ومنته وحلمه للورى رفق ورضوان

فبحر جودك لن يجزى ملججه وخائض البحر قد يأتيه خزيان

أنقذتني من وثاق الأسر يا أملي ومن هموم لها في الصدر بنيان

لازلت ترفل في العلياء في حلل بها من النصر والتأييد ألوان

ما دام ثغرك للعافين مبتسما وما همى من جزيل البذل هتان

وقال رحمه الله

حمدا من المسك المفتق أعطر عن غرة النصر المبارك يسفر

يا أيها المنصور أبشر بالمنى النصر حقا من لوائك ينشر

عقدت يمين النصر منكم سنجقا فبذاك أهل الأرض طرا تقهر

فكذا كذا فتح البلاد إذا سمت همم الملوك إلى المآثر يذكر

جند رمت نحو الجنوب خيامها فارتج مصر والعراق وزنزر

قطعت رؤوس المعتدين سيوفهم من مات منهم في الحبارى يقبر

قادو من الأبطال كل غضنفر أسد هصور في الكريهة أكشر

ملئت بهم عين الزمان وقلبه واسود وجه الكفر فهو الأغبر

أما الجنوب فإن جندك لم يدع شخصا بها ينوي الشقاق فيعذر

أجليتهم منها وجسمك قد ثوى مراكشا، هذا لعمرك أكبر

تركوا لك الأوطان دون منازع تالله إن الترك موت أحمر

لازلت بالسيف المهند بانيا شرفا به نحن الموالي نفخر

ولما أنشده بمراكش الفقيه أبو عبد الله محمد ابن شيخ الجماعة ومفتي مراكش أبي مالك عبد الواحد بن أحمد الحسني قوله ملغزا في اسم سونة:

اسم التي قد عذبت مهجتي إن اسمها للحظها وصف

وهو إذا فارقه بعضه فبعضه لما بقي نصف

فإن يزد فسنة عشقها بل واجب ما إن بدا خلف

تصحيف قلبها يرى قلبها ياليت لي من لعسها رشف

أجابه ابن القاضي بقوله:

ألؤلؤ ليس له وصف؟ أم عنبر الشحر الذي يصفو؟

أم مسك دارين على نشره فأفعم الجو له عرف

لا، بل حلال السحر من فاضل من آل بيت من له نقفو

من حبهم فرض ومن بغضهم كفر أتى ما إن بدا خلف

لغزتم فيما بدا صدره كطرة في غرة تصفو

فإن ضممت الصدر للعجز قل ست كرام مالهم وصف

وإن ضممت الصدر مع ثالث من الهدى ما إن به ضعف

لهفي على ما حل في قلبها كأنه من حجر صنف

فما ثلاثي له أحرف من فوق سبع مابه حيف

وفاؤه إن كان فاء يرى وصف إله للورى كهف

وإن ضممت الفاء مع لامه فما لكم في مضمري وقف

أو عينه فعل أو اسم فما في قلبه دن به لطف

وعينه إن كان عينا حلا للقلب من خل إذا يجفو

ووصف عبد إن بغين أتى والفاء باء مابه الحتف

قد ورد اللغز لكم طالبا من ذهنكم لطفا له عرف

أوردته متضحا بينا   ذا بهجة فوق العلا يطفو

لازلت بالألغاز ذا فطنة   مانح عن زهر الربا عرف

وقد أجاب عن هذا اللغز الفقيه محمد بن عبد الواحد الحسني، بعد أن ألغز له ابن القاضي آخر الجواب في ورد ، فقال:

قد جاءني لغزكم سيدي يعبق من أثنائه الورد

وردت منه موردا صافيا يروي الظمأ ما مثله ورد

وقال رحمه الله

فرع النبوة أصل كل كريمة يروي السيادة أشرفا عن أشرف

عضب حسام ما له من صقيل غير المعالي للمعالم يصطفي

ما إن يساجل في العلى تلك الحلى ملك تمنع بالحماء الأكنف

كم أضحك الخيرات وسط يمينه وأسال عبرة كل سيف مرهف

ليث الشرى، غيث الورى لكنه من نسل أحمد فضله لم يختف

ألحم به تلق البرية كلها في ذاته والعدل في أسد وفي

تلفيه إلا في المحامد معرضا ولماله في حكمه لم ينصف

مجد بحار الفرقدين نعاله مصباح ذهنه نوره لم ينطف

من معشر للمعتفين زواخر فاذكر حلاهم في النام وشنف

طفل إذا جاشت عليه ملاحم كهل المحافل قوة المستضعف

بحر المكارم أصلها المنصور من نادى في المعضلات لقد كفي

ناديته لمصيبتي فكأنه لشفائها أم الكتاب لمشتف

أخرجتني من ضيق أسر نالني ومنحتني أسماع آي المصحف

إذ كنت أسحب للحديد خلاخلا وسلاسلا أغلالها لم توصف

لازلت تكشف كرب كل موله لأصحب المخزون باللطف الخفي

وقال رحمه الله

هل بارق من حيكم يتألق أم وجه ليلى في الغياهب مشرق

إن الغريرة قد تكامل حسنها وزها على الأقطار منها المشرق

سلسلت مطلق عبرتي شوقا لها إني أسير حيث دمعي مطلق

جسمي حوى ضدين من كلفي بها طرف غريق لي وقلب محرق

فإخال لمس الفرقدين ميسرا ووصالها مع قربه لايلحق

لكن وإن بعدت دياركم فقد يدنيكم زور الأماني فأقلق

يا جنة الفردوس يا نيل المنى ما حيلتي من عبرة تترقرق؟

إن كان يرضيكم هلاكي في الهوى فلحالتي رق العدو الأزرق

تيهي دلالا في جمالك وارفلي أن عمك الحسن فخالك يعبق

فبخالك المسكي والركنين لا تقصي محبا من فراقك يشفق

إني أمني النفس زورة حجركم وحطيمكم حيث الرضى يتدفق

هذا الذي أبقى لنا رمقا به أنفسنا بين الجوانح تخفق

يا هل ترى أسعى ولو عن مقلتي لضريح من بالمعجزات مصدق

ومنها:

يامن لواء أحمد معقود له أنت الرسول الهاشمي المعرق

قد لذ لي ذلي لعز جماله وغرامه بين الجوانح محرق

ومنها:

صلى عليك الله ما طلعت ذكا وأميل في البستان غصن مورق

ومنها تخلصا:

يا من له ذنب عظيم مثقل أنزل به المختار فهو الدريق

أو فاعلق ببنيه تظفر بالمنى لاخير في شخص بهم لا يعلق

لاتقنطي يانفس مما قد مضى إني علقت بهم وإني معتق

إذ لذت بالمنصور نجل المصطفى طود إلى شمس المكارم مشرق

هل حمده المنسوق إلا جوهر بل مدحه المنشوق زهر يعبق

ومنها:

أبطأت حلما أن تؤاخذ من هفا لكن إلى الصفح الجميل تسبق

ومنها:

كم أضحكت الخيرات وسط يمينه وأسال عبرة كل سيف يخفق

ليث الشرى غيث الورى لكن له جد كريم هاشمي معرق

أخصبت ربعا للمكارم ماجد وبنيت ركنا للعلاء منمق

وافتر ثغر الدهر إذ سست الدنا إن العراق لعدلكم يتشوق

أبديت في الآفاق عدلا ضافيا تقفوكم الأملاك فيه وتعلق

سحبت به غر الليالي حلة كالغانيات سحبن بردا يألق

يهنيكم الميلاد من بين الورى للقائكم دون البرية يقلق

ضخم من الأيام أكرم ورده ضخم من الأملاك غيث مغدق

قصدا به تعظيم مولد جده من حسنه منه الأزاهر تنشق

لازلت في عين العلى حورا وفي أنف الهدى شمسا وعدلك يشرق

ما أعطفت عطف القضيب يد الصبا والطير ترقص والمياه تصفق

وأنشده لنفسه الأديب محمد بن يعقوب مستجيزا قوله:

يا راضعا خمر الكؤوس فقتنتي في خمرتي من ريق ذاك الساقي

فقلت مجيزا:

أبدى لنا ساقا تكامل حسنه يا لهف نفسي يوم كشف الساق

ثم قال محمد بن يعقوب:

جنب الهوى خيل الصبا فجرت بنا

فقلت:

مرحبا بميدان من الأشواق

ساق كسا جسمي الضنى لما سقى من خمر ريق ياله من ساق

أبدى لنا ساقا تكامل حسنه يالهف نفسي يوم كشف الساق

وقال رحمه الله

يا شادنا ملك القلوب وحازها سفكت لواحظه دم العشاق

رفقا بمكلوم الفؤاد فإنه أنفاسه تجري مع الآماق

شادن كالدر مبسمه   وجهه كالبدر في الغسق

ألبس الحمر غلائله   فغدا كالشمس في الشفق

قمر كالغصن منعطف   عجبا يختال في الطرق

سرقت منه ظباء الفلا جيده، والردف منه بقي

وقال رحمه الله

فطرفه مثل سهم وخده كالشقيق

ولؤلؤ الثغر منه منضد في العقيق

وريقه في مذاق تظنه كالرحيق

وقال رحمه الله

الحسن في القلب والأحشاء أسراكا فامنن علي فإني بعض أسراكا

لاتجف صبا تجافى عنه مضجعه وبات بالسقم مختارا للقياكا

بالله رفقا على قلب حللت به لاتنصبن حبال التيه أشراكا

وقال رحمه الله

يا كعبة الحسن لولا سر معناك لما سرى الركب في داج لمعناك

نعم، وما أبصرت عيناي من قمر مزمل في بجاد الحسن إلاك

لولاك ما رنحت ريح الصبا سحرا أفنان بان اللوى والسفح لولاك

لولا محاسنك الغر التي عظمت ماحن من أشعث يوما للقياك

ترفقي بمحب طال ما جمحت به خيول الهوى والهو أفاك

ترفقي بالذي أسهرت ناظره شوقا إلى مسك خال من محياك

لو تسأليه إتيانا لحضرتكم سعيا على الوجه مجتازا للباك

يا ربة الحلة السوداء من هيف تيهي دلالا فكل الكون يهواك

ميسي اختيالا فما في الأرض من مثل له كزمزمك المروى ومسعاك

ولا كملتزم والمذنبون به لاذوا قياما، فمن داع ومن باك

ولا كركنيك للعافين مستلم به تساقط من أوزار نساك

ولا كمثل مقام آمن عطر لله ذاك المقام الطاهر الزاكي

كلفته دنفا مما أكابد من شوق إلى الحرم السامي بعلياك

أو شوق طيبة دار الوحي كم تليت آي الكتاب بها ردعا لإشراك

دار بها خيم الروح الأمين على خير الكريمين أرسال وأملاك

محمد المجتبى المختار أفضل من أسرى به الله فوق السبع أفلاك

فالبدر قد شق تصديقا لمعجزه والجذع حن حنين المدنف الشاكي

والماء منسجم تجري أصابعه منه، أيا فئة الإسلام أرواك

كم من جماد غدا بالنطق متصفا لولاك ما كان موصوفا بإدراك

كم معجز أعجز الحساب في عدد ماذا عسى من حلاكم يذكر الحاكي

صلى عليك إله العرش ما طلعت شمس وما لاح بدر بين أحلاك

ما لي سوى حبكم أرجو النجاة به أو حب سبطكم قهار أملاك

كهف ملوك الورى المنصور طود علا تاج الملوك وفخر المعدن الزاكي

إن رام أرض العدى ذلت لسطوته عصائب الكفر من شهم وفتاك

في السلم ظبي وفي يوم الوغى أسد شاكي السلاح فيا لله من شاكي

يا رتبة الملك حزت الفخر أجمعه لك الهناء من المنصور منشاك

ويا حمى الملك قد دامت مسرتكم ويا خلافة دين الله بشراك

إذ ساسك الملك المولى الذي عظمت خصاله وسنام المجد أوطاك

ولاك ملكا عظيما ليس يشبهه ملك، وعزا على العلياء أولاك

وفي الخلافة حقا ما له مثل والعز يا عصبة الأفلاك وفاك

لولاك يا ملك الإسلام ما نظمت لئالئ الملك في جيد بأسلاك

أضحت ملوك الورى تعنو لطاعتكم مابين عرب وسودان وأتراك

يا مالك الدهر يا أندى الملوك يدا دم في العلا راقيا من فوق أملاك

واخلد إماما فإن الملك خلده فيكم إله الورى من دون إشراك

لازلت في ذروة العلياء مرتقيا ما انحط شأن غلام تحت إدراك

ودم لميلاد خير الخلق تكرمه فأنت أولى به يا أيها الزاكي

ولما استجازه نائبه بمحروسة سلا الفقيه الأديب حسين ابن أبي القاسم الحلولي الدرعي مروياته بقوله:

أراوية العلم الذي زانه العمل وكعبة أفضال يطوف بها الأمل

ويا دوحة الفضل الذي طاب محتدا وطاب نجارا وارتدى المجد واشتمل

عبيدك بالنعمي حسين بن قاسم وقاه إله العرش من وقفة الخجل

بباب الهدى يبغي إجازة سيد به يرتجي من ربه نيل ما سأل

ليشرف إذ يدعوك شيخا وينتمي لجانبك الرحب السليم من الدغل

وينظم في سلك الذين تحملوا تفاريع هذا العلم عنك بلا خلل

أجابه بقوله:

أجزت لكم ماقد رويت إجازة معممة في كل ما العبد قد حمل

وما صح عنه من نظام وما له   من النثر والتأليف مع كل ما نقل

وفي كل مقروء تثبت عندكم   وفي كل مسموع بدا ما به خلل

وكل مجاز ثم كل مناول   فدونك، فارو العلم واقرنه بالعمل

وكاتب هذا أحمد بن محمد   ويعرف بابن العافية مكثر الزلل

بتاريخ ألف بعد هجرة مرسل   عليه صلاة الله ما النجم قد أفل

دار تنكبتها والنفس راضية فلا أبالي بمن بعدي بها نزلا

فقد يحل بها من ليس يعرفها ولم يجد لخلو الكف من بخلا

لو كانت الدار رضوى أهلها مسكت ولا ابتغى أهلها عن أرضها بدلا

وقال رحمه الله

يا أيها المنصور أبشر بالعلى الله بلغ في العدى المأمولا

أنضاكم سيفا لحتف عداته وبكم غدا سيف الردى مغلولا

وهزمتم الشرك المتين بعزمكم من غير ما سيف يرى مسلولا

وأذبتم كبد الخبيث مهابة وفتحتم آرمه آصيلا

وغدت من الناقوس صفرا بلقعا يتلى بها فرقاننا ترتيلا

أبشر لواء الفتح معقود لكم فاشكر إلهك بكرة وأصيلا

أكرم به من مالك بل صالح أضحى لنيران العداة خليلا

لازال في أنف الهدى شمسا وفي عين العلاء يشاكل التكحيلا

يقول المقري: ولقيته يوما بالمحلة المنصورة أعلى الله كلمتها، وذلك بظاهر مراكش حماها الله، وكان إذ ذاك الوباء، فتذاكرنا أوطاننا وأهالينا، وأيامنا بفاس ولياليها، فقال يخاطبني:

يا شهاب الدين هلا

فقلت:

زرت إخوانا وأهلا

فقال:

بعدت عنا ديار

جمعت بالقوم شملا

فقلت:

ليت شعري هل نراهم؟ فيعود الحزن سهلا

وقائلة لما رأتني مملقا   أتنفق جودا بعد عسر وتبذل

فقلت لها كفي الملامة في الندى   هي النفس ما حملتها تتحمل

وقال رحمه الله

كأس من السم يوم البين أعذب من مد السواعد والتوديع للقبل

قد كنت من غرتي بالدهر أحقره حتى بكيت دما يوما من المقل

إن الفراق عن الأحباب تيمني كيف التصبر عنهم وهم أملي

وقال رحمه الله

ما في النساء مليح يستلذ به   إلا التمتع بالحسناء في الحال

قبحن ما إن لعهد عندهن لمن   يزعمن ودا له في عصره الخالي

وقال رحمه الله

ولما أن رأيت العيس زمت وقربت النجائب للرحيل

تيقنت الفراق فسابقتني دموع كالسحائب في النزول

وصار القلب يضطرب التهابا ويذكر حاله حين الذميل

ومخضوب الأنامل سائرات على أكتاد ربات الذيول

فبان الصبر عني واعتراني هموم قد تجلت عن مثيل

فصبرا يا قريح القلب مني تعز فما عزاؤك بالجميل

ولا تجزع، ويا طرفي فاكفف عن العبرات فاضحة القتيل

تجلت عن العاني الأسير المكبل همومٌ سرت في الجسم في كل مفصل

بذكر الإمام الهاشمي الذي سما بسيمة خير الخلق في كل محفل

إمام العلى المنصور فخر أئمة به قد تحلى كل جيد معطل

به راق وجه الأرض وافتر ثغره وحلي جيد منه بالدر والحلي

إمام همام همه طول همة ظبي ماله غير المعالي بصيقل

فكم تضحك الخيرات في بطن كفه ويبكي دماء كل رمح ومنصل

وكم جاوز الغايات حتى لو أنه أراد الثريا أمها في التنزل

فغر الليالي من سناه توقدت ضياء بنور للخلافة مشعل

زكي، زهي للسماح سماؤه جناح لنسر النصر في كل جحفل

إمام الهدى بحر الندى قسور الردى إلى المعتفي والفاجر المتضلل

بحق الذي أولاك ملكا فنجني من الهلك يا قصد الأسير المكبل

وكن يا إمام العدل في عون خائر أسير كسير ذي جناح مذلل

لقد مزقت أيدي الزمان وريده ودارت عليه الدائرات كجلجل

وأفنى عليه الدهر من كل وجهة وداست عليه النائبات بأرجل

فعافاك رب العرش يا ملك العلى ودمت إماما في علاء منزل

ولا زلت حج المعتفين وكعبة مطافا لأهل الفضل في كل محفل

وقال رحمه الله

إنني عبد مسيء مجرم مسرف مما به جف القلم

لا تعاملني بقدري في الورى بل، فعاملني بفضل وكرم

يا إله العرش، ياذا الطول جد بمتاب لحقير في الأمم

أنت جواد وغفار لمن جاء يرجو العفو والفضل بكم

وقال رحمه الله

ولما نأيتم ولم أستطيع أسير لحضرتكم بالقدم

سعيت إليكم برجل الرسول وخاطبتكم بلسان القلم

فأزكى سلام لخير إمام أخص به (المقري) العلم

سعيد بن أحمد نجم العلى سراج الهدى في دياجي الظلم

فإني استجزتك من أرض فاس لتسعف يا بحر علم فكم

لما صح عنكم وجاز لكم رواية كل بشرط متم

فلا تحرم العبد من فضلكم ومن فيضكم راح رشفا بفم

فدمتم ودام العلى تاليا لكم والأماني كبعض الخدم

وسلم بفضلك يا سيدي على كل من حاز فضل القلم

كذا عن بنيك الكرام الألى تحلوا حلاء العلى والكرم

ولاتنس عبدك من دعوة يفوز بها من دواهي النقم

ومن كل هول ومن كل شر ومن كل كرب بيوم الندم

وكاتبه أحمد راجيا شفاعته يوم زل القدم

سليل محمد نجل الدي بعافية في الورى متسم

بتاريخ تسع وألف مضت لهجرة خير الورى والأمم

عليه صلاة وأزكى سلام من الله ربي باري النسم

ولبعضهم:

ثلاثة إخوة لأب وأم وكلهم إلى مال فقير
أفادتهم صروف الدهر مالا وكان لميتهم مال كثير
فحاز الأكبر هناك ثلثا وباقي المال فاز به الصغير

فقلت مجاوبا:

وذلك أن للأولاد عرسا وحاز نكاحها الولد الصغير
وتلك العرس هي ابنة عم لأجمعهم، فأنت بها خبير

ولبعضهم:

لقد جئت من أرض الحجاز مبادرا لميراث قوم كان فيهم تفكر

لوارثة بعلا وبعلين بعده وبعلا أبوهم ذو الجناحين جعفر

فكان لها من قسمة المال نصفه بذلك يقضي العالم المتدبر

وذلك أن مال الأول ثمانية، والثاني ستة، والثالث ثلاثة، والرابع واحد.

وقلت في الجواب:

ثمانية مع ستة نصفها وواحد أنت بالحساب تظفر

وقال رحمه الله

سعد الأنام بطلعة المنصور في مجلس كالبدر في الديجور

ملك له بين الملوك سراوة أربت على المنظوم والمنثور

ملك العلى نجل الرسول محمد روح العوالم عين كل بصير

حاز المفاخر عن أب عن جده عن خير من قد جاء بالمأثور

إنسان عين العالمين بأسرهم بل مهجة الأجساد في المعمور

حمدا لمولانا الكريم بمنه للمسلمين بصحة المصور

إبلاله أهدى السرور إلى الورى وغدوا به في غبطة وسرور

وجب الثناء على العباد لربهم شكرا لما أسدى لهم من نور

دم في أمان والسعود خوادم لعلاكم يا بن النبي المبرور

خير الخلائف والملوك بأسرها بحر السماحة سهم كل هصور

لازلت في جفن السعادة نائما ما قوبل الممدود والمقصور

وقال رحمه الله

يا سائلا سقي الجياد الضمر إن الغداة معدة للأحمر

والدهم إن بزغت ذكاء فاسقها أما الزوال مؤقت للأشقر

والشهب تسقى مطلقا مما جرى من شبه دمعي من عيون الأنهر

من راكد عند الأصائل شربها وكذا الحديد بنصف ليل أزهر

بختامهم يسقى لديهم أشعل فافهم سقاك الله ماء الكوثر

وقال رحمه الله

عانقته كي لا أذوق فراقه كالسعد عانق واثق المنصور

فإذا توسط حاسد ما بيننا نفريه فري لواحظ اليعفور

وقال رحمه الله

رأيت الدهر غض الطرف عني وأخرني وحظي في الصدور

وقدم معشرا لهم حظوظ عظام في السخافة والفجور

فأظهرت التجلد عند هذا وآثرت الخمول على الظهور

وغالطت الزمان بكل وجه وتهت كتيه ربات الخدور

مخافة أن يرى مني ليانا ولو أخنى بقاصمة الظهور

وقال معارضا:

جهل المحال كان بالوهم يدمي   أين ماء دهاق من وهم فكر

فقال:

خمش الماء جلده الرطب حتى   خلته لابسا غلالة جمر

وقال رحمه الله

أتيه بالفقر على ذي غنى كتيه جهلا بذي فقر

كأنني في عينه ملك في يوم عقد التاج للكفر

لا أسأل المعروف إلا لمن بأمره حكم القضا يجري

وقال رحمه الله

الملك أصبح ثابت الآساس بابن النبي الطاهر الأنفاس

المالك المنصور منصور اللوا من ساد في الأنواع والأجناس

الطاهر ابن الطاهر ابن الطاهر ابن الطاهر المولى أبي العباس

ابن الإمام محمد مهدي الورى ابن الإمام القائم الآساس

يروي أحاديث العلا عن مرسل طهرت خلائقه من الأدناس

صلى عليه الله ماطلعت ذكا وجرت بأفلاك لنفع الناس

فرع نما في دوحة علوية فزكا شذا من عودها المياس

وألانه ريح النبوة فانثنى يهتز من شرف على الأغراس

من معشر ردوا الخطوب إذا طمت وبهم ليالي البؤس كالأعراس

الخالطين غنيهم بفقيرهم حتى فقيرهم غدا ذا باس

ماذا عليك إذا نزلت بحيهم أمنت من فقر ومن إفلاس

قوم إذا وعدوا وإن هم أوعدوا أغنوا، وأصغوا للعدى بالباس

أسدا إذا حضروا الحروب وإن غدوا فوق الأسرة شبه ظبي كناس

العين تملأ بهجة بجيوشهم والقلب رعبا من عدو قاس

مثل الكواكب نورهم ووجوهم أبدا تضيء إضاءة القياس

ومنها:

نهضوا بأعباء الخلافة فارتفعت هم فوق الأشم الراسي

فتبارك الله المعز لدينه بعصابة عيذت من الوسواس

كفيت عيون الحاسدين وخلدت أمداحهم تجري على القرطاس

تروي المكارم عن عطاء يمينه ومجاهد عنها لأهل شماس

أكرم براحته الكريمة إنها جمعت لنا بين الندى والباس

لولا زمام الملك في أمراسه ما قيدت العليلة بالأمراس

لولاه للتدبير في أمر الورى ما تم حال الملك بين الناس

كم من إمام قبله خطب العلى فتقاعست عنه بفرط شماس

حتى أتاها خاطبا فرنت له ورأته كفؤا زاهر الأنفاس

كم أذعنت أيدي الملوك وعطلت من نيل مصر أصابع المقياس

خوفا وجودا دام في عليائه والله يعصمه من الخناس

وكذاك دم لإقامة الميلاد في عز وملك في دنا الأخياس

ومنها:

مولاي عبدك راجيا من فضلكم مننا زكت تجري على الأنفاس

ومنها:

فتدارك العبد الضعيف رحمة علوية تقصيه عن إفلاس

أتكون من بعض العبيد ونشتكي للدهر ما لاقيت من إبلاس

مالي سواك لأنني بين الورى أفردت حبا فيك غير مقاس

دأب مديحي آل بيت المصطفى بمدائح مسكية الأنفاس

حتى بها شرفت من بين الورى لكنها تجري على القسطاس

خذها أتت شبه العقيلة تنثني بنضارة وحيا بفرط مياس

وتقبل الأطراف من بسط العلى تولي السلام لخيرة الجلاس

فبعثتها تختال في نسماتها تسعى على العينين قبل الراس

دم في علىً والنصر يخدم سعدكم ما أطرب النسمات للأغراس

وجب الثنا للقاطنين بفاس شكرا لمولانا أبي العباس

إذ سد سدا من سديد صنيعه كم مسجد أحيا وكم أغراس

كم منزل بالحال أضحى منشدا: الملك أصبح ثابت الآساس

إذ ساسه مولى الملوك وتاجهم نجل النبي الطاهر الأنفاس

لما تأسس جاء في تاريخه سد مرير مابه من باس

وقال رحمه الله

قد كنت لي يا أيد أعظم عدة كم قد وقفت بأربع أدراس

بالله قف في ربع عزة وقفة ما في وقوفك ساعة من باس

يهدي إليك المنى يا عبد في فاس   فراقب الله، واخش الله في الناس

واعلم بأن العلى تأتيك طائعة   رغما على الأنف أو سعيا على الراس

فاشكر إلهك إذ ولاك أنعمه   تولى الزيادة ما في الفضل من باس

ولا تخف نقص ما أوتيت من منن   إذا شكرت إلها مذهب الباس

وقال رحمه الله

لما رأيت مقامك السامي الذي ملك العلا، والنصر صار مطيعا

أيقنت أنك وارث الدنيا لذا أهديت علم الإرث فيه جميعا

وقال رحمه الله

ضع الجميل ولو في غير موضعه   فلا يضيع الجميل أينما وضعا

يا شادنا لفؤاد الصب قد قطعا   رفقا بمضنى شتات الحب قد جمعا

لا تهجرن كئيبا ذاب من كمد   يا وقفة البان صنو البدر إذ طلعا

بعقرب الصدغ بالعد الرطيب جنى   بأرقم الشعر إذ للقلب قد لسعا

بما حوى الجيد من خال ومن هيف   بما حوى الخصر من لين إذا ارتفعا

جد لي بوصل ولو في النوم يا أملي   هذا التجني فؤاد الصب قد نزعا

فأعذب وعذب وصل واهجر وصد وصل   كن كيف شئت ففيك الحسن قد جمعا

لا تتلف فؤادا أنت ساكنه   يا ثمرة القلب إن القلب قد قطعا

وقال بديع الزمان بن ابراهيم الفاسي:

إذا رمت أن تحظى بكل فضيلة ويرفع عنك سترها وحجابها

فواف شهاب الدين وانزل بأرضه تجدها سماء والشهاب شهابها

فأجبته بقولي فيه:

أبدى من السحر الحلال عجائبا حسبي علاه في الأنام أذيع

لاتعجبوا مما بدا من فضل من بهر الأنام فإنه لبديع

حسبي من الحب ما أضمرته وكفى ومن دموعي ما بالخد قد وكفا

وقد رضيت بما أبقيت من رمقي وإن على القلب جيش السقم قد وجفا

بالله رفقا على قلب حللت به وارحم خضوعي يامن ملني وجفا

واعلم بأني رضيت الحب منزلة وفي مغانيه لذ العيش لي وصفا

تبارك الله لاحي يماثلكم ما إن يصفكم على الإطلاق من وصفا

لله درك ما أحلاك في خلدي ياسيدا في مغاني الحسن قد وقفا

يا كعبة الفضل يا بيتا أطوف به ما ذا الجمال الذي قد أمكم وقفا

وقفت في عرفات العرف أسأله وصلا فأنقذني من هجره وعفا

ياما أميلح بعد الهجر وصلهم إن أقفر الدهر من هجرانهم وعفا

وقال رحمه الله

يا سائلا طبعه للعلم منحرف وقلبه باصطلاح الناس مشغوف

الكم كلية جزئية ذكروا والكيف بالسلب والإيجاب موصوف

قال محمد بن سعيد المرغيثي: كتب إلي أخونا إبن القاضي وأنا بجبال غمارة مريض:

عوفيت يا معدن الأفضال ليس يرى حليف جسمك في طول المدى المرض

واركض برجلك ترى البرء حل بها قلب العدو لا سهم العدا الغرض

واقر حديث الشفا في القلب منك وقل لو لم أكن جوهرا ما مسني العرض

فأجبته:

ياسيدي طالما مست جواهرنا أعراضها يا ترى ينتقل العرض

شكوى محب إلى محبوبه دنفا بغصة البين بعد غصة الجرض

لا يعرف البسط أن تداركه سحر بيانكم يشفى به المرض

وقال رحمه الله

أيا من له في العلم فضل محبة وهمته تسمو لأرفع رتبة

ومختصر يقري ويوضح لفظه فيحظى بقرب من خليل وخلة

ففي أي باب جاء في العبد أنه جدير بأن يعطى له أجر خدمة

فيبقيه دائما، وإن شاء جاد به ولا نزع يتقى ولأي بضربة

وإن مات هذا العبد والمال وافر فليس لسيد به من وراثة

ويورث بالتعصيب فاعجب لحاله وهذا غريب يقتضي أن لحكمة

فلا زلت سيدي تزيح غياهبا وتدني الشريد للفهوم بفطنة

فأجاب

أسحر حلال راق أم نفث حكمة تدل على قدر عظيم ورفعة

تنبء أن العلم لاشك آهل مصون بأهل الفضل في كل لحظة

على أنني لما سعدت بقربكم وقد نالني من فضلكم رشق قطرة

تحققته من علمكم في شهادة إذا أدخلوا حرابها وسط ربقة

فلا زلت تهدي للمعمى بفطنة وتكشف عن فكر غياهب ظلمة

وقال

بشراك بالنصر المبين المتاح   قطفته بين القنا والصفاح

قد دوخ الأرض وأقطارها   وعم بالصيت بسيط البطاح

فليهنك النصر الذي حزته   دون الملوك في مغاني الكفاح

واسعد فقد دانت ملوك الورى   لما رأت في الانقياد النجاح

الملك المنصور طود العلى   واسطة العقد وبحر السماح

رجت بلاد السود من جنده   فافتتحت بالسيف أي افتتاح

قد فتح السودان من حزمه   شهم الملوك الصيد طود السماح

الظاهر المنصور من هاشم   بحر الندى من أراش الجناح

فتح مبين هو تاريخه   يسمو على الأرض مديد الجناح

لازالت الأقطار تعنو لكم   من سعدكم طول المدى تستباح

وقال رحمه الله

هذا كتابي رائد الفلاح بشر بالملك المتين المتاح

كما لكم روى حديثا علا فقد روى عنكم حديث السماح

وما روى من سحركم ختمه ما يعجز الضليل يوم الكفاح

لازلت في عز وفي رفعة ما قد روى عنكم عطا عن رباح

كان الملوك إذا تعاظم قدرهم أمروا بتثبيت العلا ترسيخا

جمعوا لهم في الكتب أخبار الورى فجمعت من أخبارك التاريخا

وقال رحمه الله

يا فاضلا مؤرخا بالفضل والتاريخ ساد

مراكش تاريخه البلد الحسن جاد

وقال رحمه الله

وكيف اطري من علا مجده والهاشمي المصطفى جده

فكل ما أذكر من مدحه يقصر عنه في العلا حده

من رام أن يحصي نجوم السما فذاك قطعا لا يفي عده

وقال ملغزا في دينار:

فما اسم له أحرف خمسة ولكنها حرفه واحد

إذا زال آخره شرعة لمن ربه عالم قاصد

وإن ضم قلب لأوله فطيب يطيب به الزاهد

وقلبك منه وعاء لما تألم من فعله العابد

وإن ضم أوله للذي بآخره جوهر ماجد

وإن زال قلب فجمع لما تفقده الغائب الرائد

وإن زال قلب وما قبله فمفرد ذا الجمع يا واجد

وإن زال قلب وما بعده فشيخ النصارى به قاعد

وإن زال صدر وما بعده فذو لهب جاءه الحارد

فإن نار في مقولي بعضه كما نار دين به شاهد

فلا عجب إذ كلفت به   فمنه المفاصل والساعد

فحلوا اللغيز فلا غيركم يجود به أيها الماجد

فلا زلتم تمتطون العلى   مدى الدهر ما أمدكم قاصد

قال أبي عبد الله محمد بن يعقوب الآيسي :

أبيت كأن في العيون مراودا سميرا ولا تحلو لدي المراقد

أهيم بأمر لو وجدت مساعدا إذا عظم المطلوب قل المساعد

وعارضه أبو العباس ابن القاضي فقال:

وقائلة لم لا أرى لك ناصرا وأنت غريب في الأنام مباعد

فقلت لها إن المعالي مطلبي إذا عظم المطلوب قل المساعد

وقال رحمه الله

بالله عرج بالنقا يا حادي إني مشوق للحمى والحادي

عرج على وادي العقيق ولو جرى من مقلتي في صحن خد باد

بالله إن جئت الجموع وراغبا فاشرح به للقاطنين ووادي

أو جئت سلع فسل عن الظبي الذي تسطو لواحظه على الآساد

يا ما أميلح للوداع عناقه لو لم يكن منه عناق بعاد

إذ صاغ لي من ساعديه حمائلا في عاتقي دامت يداه نجادي

ظعن الأحبة سائرين وخلفوا جمرا له في الصدر قدح زناد

ردد على سمع المشوق حديثهم فلعله يرتاح للترداد

هل للمتيم بالمصلى وقفة أو بالعقيق ولعلع وجياد

لكثبان رامة رمت لثم ترابه وكذا الشظا وقبا وبطن الوادي

لي بالمحصب من مغاني أحبتي قلب أسير ما له من فاد

يا حسرتا قد ذبت وجدا من منى هي المنى ومنازل الرواد

ما أنت يا قلبي الذي حدثتني يوم النوى من بدري الوقاد

...

هلا اذكرت بطيفه طيب المنى دار النبي الهاشمي الهادي

أرض بها المختار باكرها الحيا ما يممت بركائب الرواد

طابت به من طيبة أكنافها مابين إتهام إلى إنجاد

أرض بها نزل النبي محمد يتلو الكتاب المعجز الحساد

ذنبي عظيم عن حماكم صدني ياسيدي، فامنن بحل قيادي

حتى أزور حماكم السامي الذي تشتاقه الأموات في الألحاد

أشكو لكم ذنبي عسى أن تشفعوا للمذنب الملهوف في الميعاد

ما لي إليك وسيلة أدلي بها إلا ابنك المنصور بدر النادي

الطاهر ابن الطاهر ابن الطاهر ابن الطاهر ابن الطاهر الأجداد

منجى وملجأ للضعيف وعمدة للمسلمين وعدتي وعمادي

لله كم سيب لهاطل جوده أغنى الفقير بطارف وتلاد

ومناهل عذبت موارد وردها من كفه المتدفق الجواد

...

هذا الذي أيامه بيضا بدت في ملة الإسلام كالأعياد

يروي عن الضحاك باسم ثغره يوم النوال بأرفع الإسناد

ومسلسل الخيرات يروي في الورى عن كفه عن جوده المعتاد

إن جئت تسأل عن علاه فسل به وادي المخازن، يا له من وادي

أفنى به آل الصليب فلا تسل عن أسرهم، واليتم في الأولاد

أنى لنا نحصي مفاخر فضله هل للرمال وللحصى من عاد

ما إن له نظم القريض بزينة فلذكره يحلو به إنشادي

مدحي له شكر على آلائه إذ فك من أسر العدو قيادي

جازاه ربي كل خير يرتجى تفديه نفسي يا له من فادي

بلغه يا ربي المنى في نجله أصلح له الدنيا بحق الهادي

وأدام بقاء الملك في أعقابه أعني به المأمون ذا الأجناد

واشدد على الأعداء وطأته التي قطعت أصول الكفر يوم طراد

لازلت بالنصر المكين مؤيدا ومعظما لشعائر الميلاد

قال المقري:

يا سيدا إن زرت عبدا يومه في داره، فالأمر غير بعيد

شرفته بحضوركم لا منقص بحضور سادات بدار عبيد

إن زرته، ونقلت أقدام العلى لمحله كانت له كالعيد

فأجابه

القلب مني في جوى والتهاب والجسم أضحى عرضة لانتهاب

وليل فكري ملهم وما أناره إلا ضياء الشهاب

وقال

العين شاعت في الورى في ذا الزمان الفاسد

مر حبيبي مدنفا من بعد عين الحاسد

وقال رحمه الله

لاتنكروا كلفي بأحمد بعدما قد كان قلبي في وثاق سعيد

لما تملك رق حالك مهجتي ملك الفؤاد، وذاك غير بعيد

عقد الغرام وحل صبري عندما عاينته، فالظبي نجل عقيد

فلا تبتئس بالرزء في الأهل والولد   فلله ما أعطى ولله ما أخذ

وقال رحمه الله

ألا إن اغتياب الناس ظلم عظيم الوصف من أردى المناكر

تجنب غيبة إلا حروفا ببيت جاء عن بعض الأكابر

تظلم، واستغث، واستفت، حاذر وعرف بدعة، فسق المجاهر

وقال رحمه الله

غرني بدر بدا لي عندما تهت في بيداء حبيه استتر

يا له كم غرني من غرتني كيف لايغرني وهو قمر

ظبي من الترك حمى ثغره يا ليته عن ذا التجني يجور

لاتنكروا إذا حمى ثغره كذلك الأتراك تحمي الثغور

وقال رحمه الله

لما رأيت الخال والخصر من ألمى بهي الثغر كالجوهر

قلت: أمن طي؟ فقال: نعم لكن خالي من بني العنبر

وقال رحمه الله

أبرق بأفق العذيب استنارا أعرف نسيم المدرج زارا

...

وهل للمحصب أو لعلع أجوب البحار وأطوي القفارا

وهل بسويقة أو رامة أعفر ذلا بها وانكسارا

وهل بالعقيق لنا وقفة فنجريه في صحن خدي انتشارا

وهل للحجون إلى زمزم أزم نجائب عوجا مهارا

وهل لي في المدعى دعوات أذود بهن ذنوبا غزارا

ويا حادي العيس بالله رفقا على مستهام به الوجد دارا

...

غريق ببحر الخطايا مقيم وصبح المشيب بليلي استنار

وقام خطيبا على قتبي؟ علام التعامي؟ البدار البدارا

وإن جئت سلعا فسل عن حبيب جواد كريم يقيل العثارا

وسلم سلاما بباب السلام على أكرم الخلق جارا ودارا

على أشرف العرب من هاشم أمين مكين مطاع جهارا

زكي صفي نبي أبي رؤوف رحيم يعز انتصارا

شفيع رفيع المقام المعلى عظيم به العرب أعلت بحارا

...

وزار البقاع وحل الشطا مكان له ملك فارس غارا

مكان به الدين شدت عراه وأضحى به الذكر يتلى اختيارا

فياليتني زائرا طيبة وأظهر عند الضريح الوقارا

تشفع لعبد وقد طال ما جثى عائدا أن يزور البوارا

...

أيا سيد الرسل يا مجتبى منيع الجوانب أهلا وجارا

وإني من زلتي مشفق ولا أطعم النوم إلا غرارا

وإن أبعدتني ذنوبي التي تفوق الحصى وتعز انتصارا

فمالي شفيع إليكم سوى إمام بقربك حازا الفخارا

إمام بقربك مامون مجد به قد تسحى وصار دثارا

إمام همام حبي جواد له العز والنصر أضحى شعارا

...

هو البحر جودا هو الطود مجدا هو البدر بالمعلومات استنارا

وإن أبصرته ملوك الزمان أنالت صفاحا ودانت جهارا

ويروي السيادة عن والد عن الجد عن حائزين الفخارا

فدام ودامت سرور الليالي تسايره بالعلى حيث سارا

ولازال بالنصر مستصحبا يدور به كلما البدر دارا

ولا زال للمولد الهاشمي يقيم رسوما له ما تبارى

وقال رحمه الله

أتاني بماء يخجل البدر حسنه	وقد لاح لي في الكأس أوهمني الغيرا

فقال: هو الماء القراح وإنما	تجلى له خدي فأوهمك الخمرا

وقال رحمه الله

انظر إلى تيكجفة فكأنها   أغصان تبر في قضيب زبرجد

بل هي رمح زمرد وسنانه   قد موهت أطرافه بالعسجد

وقال رحمه الله

إذا ما رماك الدهر يوما بأحمق فكن مثله تدعى النبلاء

ومهما جفاك اصبر له لإدارة وكن عاقلا في جملة العقلاء

وقال رحمه الله

اعلم بأن رضاك للآباء   معلوة جلت عن الإحصاء

مقرونة جاءت بطاعة ربنا   إن الحفاظ مبرة الأباء

وإن انقضوا وتغيبت أجسامهم   في تربة الأجداث في الظلماء

فلأهل ودهم كلهم في برهم   قد صح ذا في مسند الآباء

وقال رحمه الله

هنئا في الصباح وفي المساء   بنصر جاء يوم الأربعاء

ببشرى أفعمت قلبي سرورا   وإن ذاب الفؤاد من العناء

فدم ملكا وصل بالله والبس   ثياب العز يا عين السناء

وعز الله جاءك في جيوش   من الأملاك من أفق السماء

...

فلا زال السرور لكم رفيق   ولازالت سعودك في ارتقاء

قال احمد المقري

أيا ماجدا حاز أسنى المراتب ويا خير منش وأفضل كاتب

أجنبي عن اسم إذا صحفوه فمر بقوم أتى بعجائب

يدلهم إن أضلوا سبيلا ولكنه قد يغر المصاحب

ويسرق أيضا وليس تقام عليه الحدود بما هو جالب

ويعدل نصف القران إذا أنا بنت قلت جميع المآرب

يرى فعل أمر إذا زال صدر ومن قال ماض فليس بكاذب

من القر عدته اثنان إن أزلت حشي منه يا خير صاحب

فلا زلت نورا وشانيك يرمي ويقذف بالشهب من كل جانب

ودم سالما آمنا في سرور وعز ونيل لما أنت طالب

فأجابه

أبدر تلألأ بين الكواكب فأخجل من حسنه كل كاتب

أمسك تضوع من نشره فأفعم من عرفه كل جانب

أم العقد نظم من لؤلؤ فأصبح طوقا بجيد المغارب

نعم لغزكم جاء من فاضل نبيه نزيه كريم المناسب

هو المقري سما في قريش وقد حاز في العلم أسنى المراتب

فأشبه في الفضل أصلا ومن يشابه أباه فليس بغاصب

فلا شك بيت العلى بيتهم وبيت الجلال وأعلى المناصب

لغزت بسحرك ما صدره كما أنت في العلم بين الأقارب

وإن زال فالصاب طعم له وطي الحشا للشتاء مناسب

وإن زال آخره قم بما تيسر من مستحب وواجب

فلغزك يا قمر العلماء تبين بالقلب يا خير صاحب

إلى كل ذهن له رونق يذوق به من صفي المشارب

فما اسم وكانت له أحرف ثلاث وثلثاه جم الغرائب

وإن ضم صدر إلى آخر تجد قلب من بالحروب مذارب

مساويه يكثر إن صحفوه مع الأقرباء وبين الأجانب

وقلبي كترس له كلما تفكرت في مسبلات الذوائب

وطيك للحشو نم في أمان فما ثم واش يشي للكتائب

فدم مثله للورى هاديا كما يهتدى بضياء الكواكب

ولازلت يا أحمد كعبة تطوف بها للعلوم نجائب

وقال رحمه الله

فإن القوم إن منعوك رفدا وأرخوا دون مالهم حجابا

أتاك النصر من رب كريم جواد ليس من يرجوه خابا

إذا سدت عن الأرزاق طاق فقد فتح الكريم لذاك بابا

فثق بالله في الأرزاق واهنأ فليس الرزق نعجزه طلابا

وقال رحمه الله

حسبت الهوى سهلا وماكنت داريا   ومن يجهل الأشياء يستسهل الصعبا

وقال رحمه الله

قال لي الظبي لما أن ظفرت به   ماذا يروقك من بدر له شنب؟

أساقه الممتلي أم ورد وجنته   فقلت: من أربي أقبله أبو(س)

ولما رأيت الغانيات تركنني   وقد كان في وجهي لهن نصيب

نطقت: فما ذنبي لكن فقلن لي: شبابك فضل والمشيب ذنوب

وقال رحمه الله

لما ملكت من المفاخر والعلا   مالا يعد بظاهر الأحساب
أهديت علم العد فيه بجمعه   كيما يعين أكابر الحساب

وقال رحمه الله

يا عين جودي بالدموع السكب إن الدموع بغير ذا لم تطلب

أهمي دموعك دون غيض بعد أن قد حل بالأجداث قطب المغرب

شيخ الجماعة أحمد المنجور من شهدت له علياؤه بالمنصب

بحر تدفق بالعلوم بأسرها مبدي المسائل كالضيا في الغيهب

ناحت عليه مساجد ومدارس ومسائل من معضلات المذهب

سكب الإله على ضريحه صيبا من رحمة أو نفحة من يثرب

وقال رحمه الله

ومعشوق كلفت به زمانا   بديع الشكل ذي عقل ولب

فإن تخبر شمائله تجده   عزيز النفس ذا ود وحب

وقال رحمه الله

لم أكرم الشيب على أنه ينزجر المرء من الشيب

ومن أتى الفحش على كبرة فإنه من أعظم العيب

يا خجلتي يوم وقوفي غدا مفتضحا من عالم الغيب

فامنن على المذنب من توبة يمحو بها ما فات من عتب

يا رب ما قدمت من صالح أرجوه إلا الفضل من سيب

وقال رحمه الله

ما أبصرت عيناي من منظر كتادلا في زيها الأعجب

وما رأت أهلا كسلطانها الصدر في الشرق وفي المغرب

نصره الله وملكه ملكا عظيما فاخر المنصب

كي ينظم الأقطار في سلكه من سوس الأقصى إلى يثرب

وقال رحمه الله

فمن السحت عندنا ماروينا ثمن السحت ثم مهر البغي

ثمن الجاه والرشا والكهانة وذو وصف ما فاز منه بشي

وقال:

تجنب غيبة إلا حروفا ببيت جاء عن بعض الأكابر

وقال رحمه الله

هامت الأرواح　　　لاهتزازِ البانِ وقتَ السَّحَر

تجلبُ الأفراح　　　وقيانُ الطيرِ فوقَ الشجَر

مِن دنانِ الحان　　　يا شقيقَ الروحِ هاتِ القدَحا

تُطرِبُ النشوان　　　قهوةً تُكسِبُ قلبي الفرَحا

مِن يدَي وسنان　　　كلُّ من دارت عليه شطَحا

يُخجِلُ الأصباح　　　أوطفُ الجفنينِ بادي الخفَر

خصرُهُ الطي　　　يا لهُ مِن شادنٍ تيَّمني

لعبةَ الحي　　　طرفُهُ السهميُّ قد صيَّرني

لجَّ في الغي　　　من إذا أشكو لهُ ما صادني

سطوةَ السفاح　　　لحظُهُ يسطو بسيفِ الحَوَر

بالهوى قد باح　　　ما لِملهوفٍ بهِ مِن وطَر

فاقَ بدرَ الداج　　　لا تلُم يا عاذلي في حُبِّ من

مِن سنا وهاج　　　حُبُّهُ وسطَ الفؤادِ قد كمَن

صاحبُ المعراج　　　ما بصدري مِن هواهُ مؤتمَن

عَرفُهُ فَوّاح   دَوحَةُ المجد سَمَت من مُضَر

فَغَدا صَيّاح   مُصطَفى مَن قَد دَعا للحجَر

يا مَنيعَ الجار   يا رسولَ اللهِ غَوثٌ ومَدَد

لِنَزيلِ الدار   أَنتَ واللهِ الكَريمُ المُعتَمَد

إِنَّكَ المختار   كُن شُفيعي يا نَبِيّاً لا يُرَد

ذي السَنى الوضاح   بابنِكَ المنصورِ فَرِّج غِيَري

طاهِرِ الأَحساب بادي الظَفَرِ   للغِنى مِفتاح

المصادر:

شعر ابن القاضي: نجاة المريني طبع

فهرسة المرغيثي طبع